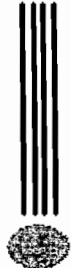


الحكمة فى شعر المتنبى (مع تصنيف حصري لمجموع الحكم فى ديوانه)



د/ حامد ظاهر (*)

تمهيد لازم :

الحكمة هى حقيقة إنسانية تعبر عن وجهة نظر صاحبها ، الذى يكون عادة من كبار الفلاسفة والأخلاقين ، وله تجارب عميقة ومشاهدات دقيقة لكل ما يجرى حوله من تصرفات الناس وطبائع الأشياء . وتصل إلينا الحكمة دائما فى شكل جملة شديدة التركيز ، لكنها أيضا شديدة الوضوح ، بحيث لا تحتاج إلى شرح أو تفسير ، بل إنها هى التى تساعدنا على فهم القضية التى تدعمها . والحكمة تشبه المثل الشعبى، لكنها تفترق عنه من جانبين : الأول أن صاحبها معروف ، بينما صاحب المثل مجهول ، ولذلك فإن المثل يعتبر تراثا مشاعا يتقاسمه الجميع . والجانب الثانى : أن المثل الشعبى يكون دائما صحيحا ، والسبب فى ذلك أنه لا يشيع وينتشر إلا بعد أن يكتسب موافقة الناس ويحظى بقبولهم فى مختلف الأماكن والعصور . أما الحكمة فإنها قد تكون صائبة فى معظم الأحيان ، ومعرضة للخطأ فى أحيان أخرى .

(*) أستاذ الفلسفة الإسلامية - كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

ومن المتعارف عليه فى الأوساط الأدبية ، قديما وحديثا ، أن المتنبي كان من أكثر الشعراء العرب احتفاء بالحكمة ، وإيرادا لها فى قصائده . لكن أحدا لم يرق حتى اليوم ببحث استقصائى يجمع فيه (كل) عناصر الحكمة لديه ، مع أن هذا العمل يمكنه أن يتيح لنا أولا : إلقاء نظرة شاملة عليها كلها ، بدلا من اجتزاء بعضها ، والاقتصار عليه . وثانيا : متابعة تطور الحكمة لديه من حيث القلة والكثرة ، وكذلك من حيث البساطة والعمق . وثالثا : استخلاص فلسفة خاصة بهذا الشاعر العربى الكبير ، والذي عاصر أثناء حياته الخاطفة تجارب متنوعة مع كل طبقات المجتمع فى عصره . وأخيرا فإن استعراض مجموع الحكم لديه تفتح الباب أمام الدراسات المقارنة للوقوف على منابعها ، ومن أى المصادر استمدتها .

لكننى أود أن أتوقف هنا عند نقطة هامة ، وهى أن دارسى الأدب العربى ، وخاصة الذين درسوا المتنبي ، قد اعتبروا (الحكمة) عنده : غرضا شعريا قائما بذاته . وهذا خطأ شائع ينبغى تصحيحه . لأن أغراض الشعر العربى الرئيسية هى : (المدح والثناء والهجاء والشكوى من الزمان) ثم تأتى بعد ذلك وسائل فنية ، يستعان بها فى إقامة بنية هذه الأغراض ، وهى (الغزل) فى مقدمات القصائد ، ثم (الوصف) و(الحكمة).. والدليل على ذلك أننا لا نكاد نعثر إلا على قصائد قليلة فى كل من الغزل والوصف ، أما الحكمة فلا توجد فى قصيدة مستقلة ، تختص بها وحدها .

والملاحظ أن الحكمة عند المتنبي منبثة فى معظم قصائده ، وليس فيها كلها . وهى تأتى غالبا لتأكيد معنى ، أو لتدعيم قضية ، أو لتبرير مبالغة . والقارئ لديوان المتنبي ، الذى أشرف هو بنفسه على ترتيبه ، يلاحظ أنه يكاد يخلو من الحكمة فى أشعار الصبا والشباب ، وهى مرتبطة بالمرحلة الأولى من حياته ، حيث كان يسعى إلى التكسب بالشعر ، من

الحكمة فى شعر المتنبى

فكر وإبداع

(مع تصنيف حصرى لمجموع الحكم فى ديوانه)

خلال مدح الأشخاص الذين التقى بهم . ومن الواضح أن القليل من الحكمة التى وجدت فى هذه المرحلة تتسم بالبساطة أو حتى السذاجة ، ويمكن إرجاعها إلى بيئة الحياة البدوية التى عاشها فى صباه ، لكنه عندما يلتحق ببلاط سيف الدولة فى حلب ، وتتاح له فرصة أكبر فى الاطلاع على تراث الأمم الأخرى : الفارسية والهندية واليونانية ، نجد نوعا آخر من الحكمة ، أكثر عمقا ، وأنفذ نظرا إلى الحياة ، وسوف تظل هذه الحكمة تتعمق وتتوسع بتتويع التجارب الإنسانية التى مرت بالمتنبى ، خلال سنوات عمره القصير نسبيا ، والذي لم تتجاوز ال (٥١) عاما .

وعلى الباحثين الذين يرغبون فى الوقوف على أسرار الصياغة الشعرية المتميزة لدى المتنبى أن يرجعوا إلى دواوين ثلاثة من كبار الشعراء الذين سبقوه ، وهم أبو تمام (ت ٢٣١ هجرية) والبحتري (ت ٢٨٤ هجرية) وابن الرومى (ت ٢٨٣ هجرية) ، وهو نفسه كان (راوية) لابن الرومى ، كما وجد فى مقتنياته ديوانا للبحتري وأبى تمام ، وعليهما الكثير من تعليقاته بخطه . والواقع أن أساليب هؤلاء الثلاثة الكبار تتردد بصوت عال أحيانا ، وبخفوت فى أحيان أخرى فى شعر المتنبى ، لكنه يتفوق عليهم جميعا بأسلوبه الخاص ، وصياغته المتفردة ، وقوة تمكنه من استخدامات اللغة العربية واستغلال كل إمكانياتها ، بل واختراع أساليب جديدة وصيغ مستحدثة فيها .

لذلك عندما يقال إن المتنبى أخذ معنى من شاعر سابق ، أو استعار حكمة من فيلسوف قديم ، فإننا لا ينبغي أن نقلل من شأنه ، أو نسلبه قدرته الفائقة على جودة الصياغة التى وضع فيها هذا المعنى أو تلك الحكمة . فهو

بالفعل يستمد من التراث السابق عليه ، لكنه يكسوه ثوبا من عنده ، وأسلوبا خاصا به لا يكاد يدانيه فيه أحد من الشعراء السابقين عليه ، أو حتى اللاحقين له . ونقتضي الأمانة العلمية أن أشير في هذا الصدد إلى ما قام به أحد الباحثين (لم يذكر اسمه مع الأسف) حين نشر على شبكة الانترنت بحثا جيدا بعنوان (حكم أرسطو وما يقابلها في شعر المتنبي) بتاريخ ٢٠٠٩/٦/٢١ رصد فيه (٤١) موضعا ، يبدو منها التلاقى بين الفيلسوف اليوناني والشاعر العربي واضحا أحيانا ، وقليل الوضوح في أحيان أخرى ، لكن ما يعيب هذا البحث هو عدم تحديد المصادر التي جاء منها بمقتطفات أرسطو ، حتى نتمكن من توثيقها والاطمئنان إليها ، كذلك هناك بعض الأقوال المنسوبة لأرسطو لا تتطابق تمام المطابقة مع أبيات المتنبي . ومن ذلك مثلا :

قال أرسطو : علل الأفهام أشد من علل الأجسام

والمتنبي يقول على نحو أعم وأشمل :

يهون علينا أن تصاب جسومنا وتسلم أعراض لنا وعقول

ومن ذلك أيضا :

يقول أرسطو : إذا لم تنصرف النفس عن شهواتها ومرادها فحياتها موت ،
ووجودها عدم .

والمتنبي بعيد عن ذلك تماما ، حين يقول :

ذل من يغبط الذليل بعيش رب عيش أخف منه الحمام

ولا أريد أن أطيل أكثر ، فالباحث مشكور على أية حال . وهو يفتح الباب أمام باحثين آخرين للوقوف بدقة وبتوثيق أكثر على منابع التي يمكن أن يكون المتنبي استمد منها ضروب الحكمة لديه .

الحكمة فى شعر المتنبى

فكر وإبداع

(مع تصنيف حصرى لمجموع الحكم فى ديوانه)

من هنا جاءت فكرة هذا البحث الاستقصائى الذى قمت به ، وغرضى منه أن أضع أمام القراء بعامة ، والباحثين فى المتنبى بخاصة (مجموع الحكم التى وردت فى شعره كله) ، وقد تطلب منى ذلك قراءة ديوانه أكثر من مرة ، قمت خلالها برصد كل ما يتعلق منه بالحكمة ، ولكى أسهل الأمر على غيرى ، صنفت ما جمعته فى ستة أقسام :

١ - الحكمة فى جملة من شطر بيت .

٢ - الحكمة فى الشطر الأول من البيت .

٣ - الحكمة فى الشطر الثانى من البيت .

٤ - الحكمة فى بيت مفرد .

٥ - الحكمة فى بيتين متتاليين .

٦ - الحكمة فى عدة أبيات متتالية .

هذا من حيث الشكل الخارجى لورود الحكمة لدى المتنبى ، أما من حيث (أبطال الحكمة) فكثيرا ما يكون هو نفسه صاحب القول الفصل فى الحكمة ، وأحيانا كثيرة يجعل (الدهر أو الزمان أو بعض الأشخاص أو بعض الحيوانات وخاصة الوحوش أو بعض الطيور وخاصة الجوارح) . ومن الناحية الأسلوبية فإن الحكمة لدى المتنبى تأتى غالبا فى صيغة خبرية (تقريرية) وقليل ما ترد فى صيغة استفهام استنكارى .

والذى يعيش طويلا مع هذا الكم الهائل من ضروب الحكمة لدى المتنبى لا يسعه إلا أن يعترف ببراعة هذا الشاعر الكبير فى اقناع القارئ بأن جميع الحكم التى أوردها صادرة بصورة طبيعية للغاية من نفسه وروحه

وقلبه ، فلا شئ منها - إلا فى النادر - مصنوع أو متكلف ، ولعلنا نستحضر هنا كلمة للمفكر الفرنسى بول فاليرى يقول فيها : " إن الأسد ليس سوى عدة خراف مهضومة " ! أمر آخر ، وهو أن المتنبى قد قرب الحكمة (التي تصيب وتخطئ) من المثل الشعبى (الذى يصدق دائماً)، والذى تتداوله الأجيال وهى مقتنعة تماماً بصدقه وصوابه . ولعلنا جميعاً نذكر من أبيات المتنبى التى مازالت حتى اليوم تجرى على الألسنة ، ومنها قوله :

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة ، فالعلة لا يظلم
لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم
وقوله :

ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله وأخو الجهالة فى الشقاوة ينعم
وقوله :

أعز مكان فى الدنا سرج سابح وخير جليس فى الزمان كتاب
فهذه وأمثاله كثير قد تحولت بفضل المتنبى من حكمة قالها حكيم ، إلى مثل شعبى أصبح جزءاً لا يتجزأ من تراث أمة بأكملها .

والسؤال الآن : هل يمكن استخلاص فلسفة للمتنبى من مجموع الحكم التى وردت فى أشعاره ؟ والإجابة : أجل بكل تأكيد ، خاصة وأننا قد أصبحنا نمتلك الآن : المادة الفكرية الأولى لإجراء هذا العمل . وكنت أتمنى على بعض شباب الباحثين فى الفلسفة الإسلامية أن يقوموا به ، بدلاً من إضاعة جهدهم فى تلك الخلافات القديمة التى شجرت بين المتكلمين ، ولم يعد لها أى نتيجة إيجابية فى حياتنا المعاصرة .

ومن جانبى أود أن أسجل هنا بعض انطباعاتى عن فلسفة المتنبى ، من خلال معاشتى لمجموع الحكم لديه . وسوف أخصها فى الملاحظات التالية :

الحكمة فى شعر المتنبى

فكر وإبداع

(مع تصنيف حصرى لمجموع الحكم فى ديوانه)

أولاً : أن فلسفة المتنبى ليست ذهنية ، كما نجدها لدى فلاسفة المسلمين من أمثال الكندى والفارابى وابن سينا .. بقدر ما هى فلسفة أخلاقية ، تتصل مباشرة بالسلوك الإنسانى ، وتفسر دوافعه .

ثانياً : أن هذه الفلسفة الأخلاقية تتبع وترتبط بحياة المتنبى وشعره معا . وبالتالي فإنه لا يمكن الفصل بين شخصية المتنبى وبين مختلف المواقف التى تعرض لها ، والقصائد التى أنشدها فيها .

ثالثاً : أن محور هذه الفلسفة الأخلاقية تتمثل أساسا فى تمجيد الكرامة الإنسانية ، وعزة النفس ، مع إدانة الذل فى كل صورته .

رابعاً : أن الإنسان إنما يعيش حياته مرة واحدة ، لذلك ينبغى عليه أن يحقق فيها أعلى ما يمكن من الصفات ، مستخدما فى ذلك وسيلتين : صواب الرأى، وشجاعة الفروسية .

خامسا : أن الأعمال العظيمة لا يمكن للإنسان أن يحققها إلا فى مرحلة الشباب ، حيث تتوافر الفتوة والقوة والعزيمة ، أما الشيخوخة فهى خريف العمر ، الذى يضطر صاحبه إلى بدء الانسحاب ، ويقع فيه الانكسار .

سادسا : أن تحقيق المطالب الكبرى فى الحياة لا ينبغى أن يتوصل إليه الإنسان بالمكر والتحايل والاستجداء ، وإنما بالاقدام ، والاستيلاء عليها بالقوة، كما تفعل الوحوش الكاسرة ، والطيور الجارحة .

سابعاً : أن الإنسان العاقل هو الذى يتنبه جيدا لظروف الدهر وأحوال الدنيا، التى لا تبقى دائما على حال واحد ، وإنما هى سريعة التقلب ، تسلب اليوم ما أعطته بالأمس .

ثامنا : هناك نوعان من الأخلاق ، أحدهما خاص باللئام ، وهو يقوم على الكذب والنفاق والمذلة والخيانة ، والثاني أخلاق الكرام التى تتميز بالصدق والكرم والشجاعة والعفو عند المقدرة .

تاسعا : أن الصداقة الحقيقية أفضل من القرابة المزيفة ، كما أن اعتماد الإنسان على نفسه هو الذى يحدد قيمته الحقيقية ، وليس الاعتماد على حسب أو نسب ، أو الانتكاء على سيرة الأسلاف .

عاشرا : أن الحاكم هو رأس الدولة ، وهو أيضا القدوة لرعاياه ، ولذلك ينبغي أن يتحلى بالقوة والشجاعة والكرم والعدل ، وأن يخلو تماما من أضعافها .

١ - الحكمة فى جزء من شطر بيت :

والحر لا يغدر _____
 والمتلف الشئ غارمه _____
 من يزحم البحر يغرق _____
 ومن السرور بكاء _____
 والموت اضطرار _____
 ليس للدنيا خليل _____
 والدنيا لمن غلبا _____
 بعض المالكين عنيف _____
 والقتل الشريف شريف _____

٢ - الحكمة فى الشطر الأول من البيت :

أعلى الممالك ما يبني على الأسفل _____

(الأسفل : الرماح)

إذا كان شعر فالنسيب المقدم
القلب أعلم يا عزول بدائه
باد هواك صبرت أم لم تصبرا
أحيا وأيسر ما قاسيت ما قتلا
اليوم عهدكم فأين الموعد ؟!
الحب ما منع الكلام الألسنا
أفاضل الناس أغراض لذى الزمن
لكل امرئ من دهره ما تعودا
عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم
كفى بك داء أن ترى الموت شافيا
إنما التهنئات للأكفاء
أود من الأيام ما لا توده
لا خيل عندك تهديها ولا مال
لهوى النفوس سريرة لا تعلم

٣ - الحكمة فى الشطر الثانى

أشد من السقم الذى أذهب السقما
ولابد دون الشهد من إبر النحل
فإنى رأيت الطيب : الطيب الأصل
إن المنية عند الذل قنديد

(القنديد : عسل قصب السكر)

وفى التقرب ما يدعو إلى الهم
 فإن الرفق بالجاني عتاب
 ومن وجد الإحسان قيد تقيدا
 والعبد يقبح إلا عند سيده
 وحلم الفتى فى غير موضعه جهل
 والجوع يرضى الأسود بالجيف
 وقدر الشهادة قدر الشهود
 نظر العدو بما أسر يـبـوح
 إن القليل من المحب كثير
 من يستطيع لأمر فائت طلبا
 ولكن معدن الذهب الرغام
 ومن يعيش يلد له الغرام
 وبضدها تتبين الأشياء
 وما خير الحياة بلا سرور
 هيهات تكتم فى الظلام مشاعل
 إن النفيس غريب حيثما كانا
 وكل اغتياب، جهد من ماله جهد
 ولا كل ما يطير بباز
 وفى عنق الحسنة يستحسن العقد
 ليس التكحل فى العينين كالكحل
 فربما صحت الأجسام بالعلل
 أنا الغريق فما خوفى من البلل

إن المعارف فى أهل النهى نهم
فليس يأكل إلا الميته الضبع
وكل حب صباية ووليه
والدر در برغم من جهله
لا يحمد السيف كل من حملة
ولا رأى فى الحب للعاقل
كل ما يمنح الشريف شريف

٤- الحكمة فى بيت مفرد :

ذو العقل يشقى فى النعيم بعقله
ومن البلية عزل من لا يرعوى
والظلم من شيم النفوس فإن تجد
يؤذى القليل من اللئام بطبعه
لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى
لا يخذعك من عدو دمه
والهم يخرم الجسيم نحافة
ولقد رأيت الحادثات فلا أرى

(اليق : البياض)

لو فكر العاشق فى منتهى
وغاية المفرد فى سلمه
فلا قضى حاجته طالب
حسن الذى يسببه لم يسبه
كفاية المفرط فى حربه
فؤاده يخفق من رعبه

(الرعب : المقصود به هنا الخوف الشديد من الموت)

يدخل صبر المرء فى مدحه ويدخل الإشفاق فى ثلبه
 (الإشفاق : الخوف - التلب : الذم)

وليس حياء الوجه فى الذنب شيمة ولكنه من شيمة الأسد الورد
 كدعواك، كل يدعى صحة العقل ومن ذا الذى يدرى بما فيه من جهل
 وليس الذى يتبع الويل رائدا كمن جاءه فى داره رائد الويل
 ومن جهلت نفسه قدره رأى غيره منه ما لا يرى
 إذا ما عدمت الأصل والعقل والندى فما لحياة فى جنابك طيب
 ولم تزل قلة الإنصاف قاطعة بين الرجال ولو كانوا ذوى رحم
 أتى الزمان بنوه فى شبيبته فسرهم ، وأتيناها على الهرم
 ومن ضاقت الأرض عن نفسه حرى أن يضيق بها جسمه
 إذا أتت الإساءة من وضع ولم ألم المسئ فمن ألوم
 لا تشتر العبد إلا والعصا معه إن العبد لأجاس مناكيد
 وهل ينفع الجيش الكثير التفافه على غير منصور وغير معان
 وفى الجسم نفس لا تشيب بشيبه ولو أن ما فى الوجه منه حراب
 وما العشق إلا غرة وطماعة يعرض قلب نفسه فيصاب
 أعز مكان فى الدنيا سرج سابح وخير جليس فى الزمان كتاب
 ما كل ما يتمنى المرء يدركه تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن
 لحى الله ذى الدنيا مناخا لراكب فكل بعيد الهم فيها معذب
 وكل امرئ يولى الجميل محب وكل مكان ينبت العز طيب
 وأظلم أهل الظلم من بات حاسدا لمن بات فى نعمائه يتقلب
 لمن تطلب الدنيا إذا لم ترد بها سرور محب ، أو مساة مجرم
 وإذا الحلم لم يكن عن طباع لم يكن عن تقادم الميلاد

(الحلم هنا بمعناه الخلقى)

وما كل هاو للجميل بفاعل	ولا كل فعال له بمتمم
وفى الناس من يرضى بميسور عيشه	ومركوبه رجلاه ، والثوب جلده
وإذا لم تجد من الناس كفاءا	ذات خدر أرادت الموت بعلا
وإذا ما خلا الجبان بأرض	طلب الطعن وحده والنزالا
وإذا الرماح شغلن مهجة ثائر	شغلته مهجته عن الإخوان
وكثير من السؤال اشتياق	وكثير من رده تعطيل
وإذا العذل فى الندى زار سمعا	فقداه العذول والمعذول
وجرم جره سفهاء قوم	وحل بغير جارمه العذاب
وإذا خامر الهوى قلب صب	فعليه لكل عين دليل
وما فى سطوة الأرباب عيب	ولا فى ذلة العبدان علر
وما يوجع الحرمان من كف حازم	كما يوجع الحرمان من كف رازق
نبكى على الدنيا وما من معشر	جمعهم الدنيا فلم يفرقوا
وجائزة دعوى المحبة والهوى	وإن كان لا يخفى كلام المنافق
ما الذى عنده تدار المنايا	كالذى عنده تدار الشمول
يهون علينا أن تصاب جسمنا	وتسلم أعراض لنا وعقول
وما الحسن فى وجه الفتى شرفا له	إذا لم يكن فى فعله ، والخلاق
وما تنفع الخيل الكرام ولا القنا	إذا لم يكن فوق الكرام كرام
وما بلد الإنسان غير الموافق	ولا أهله الأذنون غير الأصادق
وكم ذنب مولده دلال	وكم بعد مولده اقتراب
وأتعب من ناداك من لا تجيبه	وأغىظ من عاداك من لا تشاكل

ووضع الندى فى موضع السيف بالعلـا
إذا أنت أكرمت الكريم ملكته
وما قتل الأحرار كالعفو عنهم
وأتعـب خلق الله من زاد همـه
فلا مجد فى الدنيا لمن قل ماله
فما الحداثة من حلم بماتعة
(الحلم هنا بمعنى العقل)

حسن الحضارة مجلوب بتطرية
وللنفس أخلاق تدل على الفتى
إذا الجود لم يرزق خلاصا من الأذى
ومن يجعل الضرغام للصيد بازه
إذا كان بعض الناس سيفا لدولة
إذا لم تكن الليث إلا فريسة
ووجه البحر يعرف من بعيد
فما ترجى النفوس من زمن
ومن الحلاوة فى الزمان مرارة
يدفن بعضنا بعضا ، وتمشى
وما التأنيث لاسم الشمس عيب
وإذا كانت النفوس كبارا
وما كل سيف يقطع الهام حده
(لزبات الزمان : شدائده)

مشيب الذئ، بكر، الشباب مشيبه فكيف توقنه ، وباتنه هادمه

وقد يتزىّا بالهوى غير أهله
غيرى بأكثر هذى الناس ينخدع
وما الحياة ونفسى بعد ما علمت
ان قاتلوا جنبوا او حدثوا شجعوا
أن الحياة كما لا تشتهى طبع

(الطبع : الدنس والعيب)

إن السلاح جميع الناس تحمله
وما الخوف إلا ما تخوفه الفتى
بذا قضت الأيام ما بين أهلها
وفى تعب من يحسد الشمس نورها
ومن صحب الدنيا طويلا تقلبت
أعيذها نظرات منك صادقة
وما انتفاع أخى الدنيا بناظره
إذا رأيت نيوب الليث بارزة
إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا
شر البلاد مكان لا صديق به

(يصم : يعيب)

وما صباة مشتاق على أمل
خذ ماتراه ودع شيئاً سمعت به
وليس يصح فى الأفهام شئ
وأحلى الهوى ماشك فى الوصل ربه
من اللقاء كمشتاق بلا أمل
إذا احتاج النهار إلى دليل
وفى الهجر، فهو الدهر يرجو ويتقى
بأهل المجد من نهب القماش

إذا ما لبست الدهر مستمتعا به
وإطراق طرف العين ليس بنافع
ومن قبل النطاح وقبل يأتي
والغنى فى يد اللئيم قبيح
وكم من عائب قولا صحيحا
فقد يظن شجاعا من به خرق
تخرقت ، والملبوس لم يتخرق
إذا كان طرف القلب ليس بمطرق
تبين لك النعاج من الكباش
قدر قبح الكريم فى الإملاق
وآفته من الفهم السقيم
وقد يظن جبانا من به زرع

(الخرق : الخفة والطيش - الزرع : الارتعاد)

وكل شجاعة فى المرء تغنى
يرى الجبناء أن العجز عقل
من خصّ بالذم الفراق فإننى
وما تقر سيوف فى ممالكها
ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى
ولكن حبا خامر القلب فى الصبا
وشيخ فى الشباب ، وليس شيئا
وإنى رأيت الضر أحسن منظر
إذا الفضل لم يرفعك عن شكر ناقص
ليس الجمال لوجه صبح مادنه
ولا مثل الشجاعة فى الحكيم
وتلك خديعة الطبع اللئيم
من لا يرى فى الدهر شيئا يحمد
حتى تقلقل دهرا قبل فى القلل
عدوا له ما من صداقته بدّ
يزيد على مر الزمان ويشد
يسمى كل من بلغ المشيبا
وأهون من مرأى صغير به كبر
على هبة فالفضل فيمن له الشكر
أنف العزيز بقطع العز يجتدع

(المادن : أرنية الأنف - يجتدع : يقطع)

ومن ينفق الساعات فى جمع ماله
وإذا أنتك مذمتى من ناقص
مخافة فقر ، فالذى فعل الفقر
فهى الشهادة لى يأتى كامل

الحكمة فى شعر المتنبى
(مع تصنيف حصرى لمجموع الحكم فى ديوانه)

كل حلم أتى بغير اقتدار حجة لاجئ إليها اللئام
ومكايد السفهاء واقعة بهم وعداوة الشعراء بئس المقتنى
وأنفس ما للغنى لبه وذو اللب يكره إنفاقه
ما كل من طلب المعالى نافذا فيها ولا كل الرجال فحولا
تلف الذى اتخذ الجراءة خلة وعظ الذى اتخذ الفرار خليلا
والعار مضاض وليس بخائف من حتفه من خاف مما قила
(مضاض : مؤلم)

ومن يك ذا فم مرّ مريض يجد مرا به الماء الزلالا
أبلغ ما يطلب النجاح به الطبع ، وعند التعمق الزلل
وما كل بمعذور ببخل ولا كل على بخل يلام
لغت مقارنة اللئيم فإنها ضيف يجر من الندامة ضيفنا
(الضيفن : الذى يتبع الضيف)

وشبه الشئ منجذب إليه وأشبهنا بدنيانا الطعام
إذا كان الشباب السكر ، والشيب هما ... فالحياة هى الحمام
أعيذك من صروف دهركم فإنه فى الكرام متهم
وإنما الناس بالملوك وما تفلح عرب ملوكها عجم
خير الطيور على القصور وشرها يأوى الخراب ويسكن الناوسا
(الناوس : المقبرة)

تذلل لها واخضع على القرب والنوى فما عاشق من لا ينل ويخضع

وكانم الحب يوم البين منهتك وصاحب الدمع لا تخفى سرائره
 ورب مال فقيرا من مروءته لم يثر منها ، كما أثرى من العدم
 ومن العداوة من ينالك نفعه ومن الصداقة ما يضر ويؤلم
 على ذا مضى الناس: اجتماع وفرقة وميت ومولود ، وقال وواق

(القالى : المبغض الكاره - الوامق : المحب)

وإذا سحابة صد حب أبرقت تركت حلاوة كل حب عقلما
 إذا اشتبهت دموع فى خدود تبين من بكى ممن تباكى
 والذل يظهر فى الذليل مودة وأود منه لمن يود الأرقم
 فقر الجهول بلا قلب إلى أدب فقر الحمار بلا رأس إلى رسن
 وما الجمع بين الماء والنار فى يدى بأصعب من أن أجمع الجد والفهما

(الجد : الحظ)

إذا لم تكن نفس النسيب كأصله فما الذى تغنى كرام المناصب

(النسيب : الشريف - المناصب : الأصول)

هذا الوداع وداع الوامق الكمد هذا الوداع وداع الروح للجسد
 من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام

* *

ه - الحكمة فى بيتين متتاليتين :

إذا ما الناس جربهم لبيب فإنى قد أكلتهم ، وذاقا
 فلم أرى ودهم إلا خداعا ولم أر دينهم إلا نفاقا

**

يموت راعى الضأن فى جهله مية جالينوس فى طبه
وربما زاد على عمره وزاد فى الأمن على سربه

**

سوى وجع الحساد داو فإنه إذا حل فى قلب فليس يحول
ولا تطمعن من حاسد فى مودة وإن كنت تبديها له وتنيل

**

ولابد للقلب من آلة ورأى يصدع صم الصفا
وكل طريق أتاه الفتى على قدر الرجل فيه الخطى

(يصدع : يشق - صم الصفا : الصخور الصلدة)

حتى رجعت وأقلامى قوائلى : المجد للسيف ليس المجد للقلم
اكتب بنا أبدا بعد الكتاب به فإنما نحن للأسياف كالخدم

**

تصفو الحياة لجاهل أو غافل عما مضى فيها وما يتوقع
ولمن يغالط فى الحقائق نفسه ويسومها طلب المحال فيطمع

**

لا يدرك المجد إلا سيد فطن لما يشق على السادات فعّال

لا وارث جهلت يمناه ما وهبت ولا كسوب بغير السيف سأل

**

تمتع من سهاد أو رقاد ولا تأمل كرى تحت الرجام

فإن لثالث الحالين معنى سوى معنى انتباهك والمنام

(السهاد : السهر - الكرى : النوم - الرجام : حجارة تنصب على القبر -
والمقصود بثالث الحالين : الموت)

مما أضر بأهل العشق أنهم هووا وما عرفوا الدنيا وما فطنوا
تفنى عيونهم دمعا وأنفسهم فى إثر كل قبيح وجهه حسن

**

لا تلق دهرك إلا غير مكرث مادام يصحب فيه روحك البدن
فما يديم سرور ما سررت به ولا يرد عليك الفائق الحزن

**

وما الخيل إلا كالصديق قليلة وإن كثرت فى عين من لا يجرب
إذا لم تشاهد غير حسن شياتها وأعضائها ، فالحسن عنك مغيب

(الشيات : الألوان)

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم
وعادى محبيه بقول عداته وأصبح فى ليل من الشك مظلم

**

وكلام الوشاة ليس على الأحباب سلطانه على الأضداد

الحكمة فى شعر المتنبى
فكر وإبداع
(مع تصنيف حصري لمجموع الحكم فى ديوانه)

إنما تنجح المقالة فى المرء إذا وافقت هوى فى الفؤاد

**

فأحسن وجه فى الورى وجه محسن . وأيمن كف فيهم كف منع
وأشرفهم من كان أشرف همه . وأكثر إقداما على كل معظم

**

إذا كنت فى شك من السيف فابله . فإما تنقيه وإما تعدّه
وما الصارم الهندى إلا كغيره . إذا لم يفارقه النجاد وغمده

**

على قدر أهل العزم تأتي العزائم . وتأتى على قدر الكرام الكرائم
وتعظم فى عين الصغير صغارها . وتصغر فى عين العظيم العظائم

**

إذا ما تأملت الزمان وصرفه . تيقنت أن الموت ضرب من القتل
وما الدهر أهل أن تؤمل عنده . وأن يشتاقي فيه إلى النسل

**

وما الموت إلا سارق دقّ شخصه . يصول بلا كف ويسعى بلا رجل
يرد أبو الشبل الخميس عن ابنه . ويسلمه عند الولادة للنمل

(أبو الشبل : الأسد - الخميس : الجيش)

فدء الدار أخون من مومس . وأخدع من كفة الحائل

تفانى الرجال على حبها وما يحصلون على طائل
(كفة الحابل : شرك الصائد)

ومن لم يعشق الدنيا قديما ولكن لا سبيل إلى الوصال
نصيبك فى حياتك من حبيب نصيبك فى منامك من خيال

**

إلف هذا الهواء أوقع فى الأنفـس أن الحمام مرّ المذاق
والأسى قبل فرقة الروح عجر والأسى لا يكون بعد الفراق

**

إذا غامرت فى مشرق مروم فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت فى أمر حقير كطعم الموت فى أمر عظيم
كثير حياة المرء مثل قليلها يزول ، وباقى عيشه مثل ذاهب
إليك فإنى لست ممن إذا اتقى عضاض الأفاعى نام فوق العقارب

(أى لست ممن إذا خاف من الهلاك صبر على الذل)

أذم إلى هذا الزمان أهيله فأعلمهم قدم ، وأحزمهم وغد
وأكرمهم كلب ، وأبصرهم عم وأسهدهم فهد ، وأشجعهم قرد

(الفهد : يضرب به المثل فى كثرة النوم)

إنى لأعلم واللبيب خبير أن الحياة وإن حرصت غرور
ورأيت كلا ما يغفل نفسه بتعلة ، وإلى الفناء يصير

**

فكر وإبداع

الحكمة فى شعر المتنبى
(مع تصنيف حصري لمجموع الحكم فى ديوانه)

فإن الجرح ينفر بعد حين إذا كان البناء على فساد
وإن الماء يجرى من جماد وإن النار تخرج من زناد

**

إن بعضا من القريض هراء ليس شيئا وبعضه أحكام
منه ما يجلب البراعة والفضل ، ومنه ما يجلب البرسام
(البرسام : مرض فى الصدر)

كذا الدنيا على من كان قبلى صروف لم يدمن عليه حالا
أشد الغم عندى فى سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا

**

قصدتك والراجون قصدى إليه كثير ، ولكن ليس كالذنب الأنف
ولا الفضة البيضاء والتبر واحدا نفوعان للمكدى وبينهما صرف
(التبر : الذهب - المكدى : الفقير - الصرف : الفضل)

خليلك أنت ، لا من قلت خلى وإن كثر التجمل والكلام
ولو حيز الحفاظ بغير عقل تجنب عنق صيقله الحسام
(الصيقل : الذى يجلو السيف)

فالموت آت والنفوس نفائس والمستغر بما لديه الأحق
والمرء يأمل والحياة شهية والشيب أوفر والشبيبة أنزق

٦ - الحكمة فى عدة أبيات متتالية :

أ - ثلاثة أبيات :

صحب الناس قبلنا ذا الزمانا وعناهم من شأنه ما عانا
وتولوا بغصة كلهم منه ، وإن سرّ بعضهم أحيانا
ربما تحسن الصنيع لياليه ، ولكن تكرر الإحسانا

**

ولذيذ الحياة أنفس فى النفس وأشهى من أن يملّ وأحلى
وإذا الشيخ قال : أفّ ، فما ملّ الحياة ، وإنما الضعف ملاً
آلة العيش صحة وشباب فإذا ولياً عن المرء ولّى

**

وما ماضى الشباب بمسرد ولا يوم يسرّ بمستعاد
متى لحظت بياض الشيب عيني فقد وجدته منها فى السواد
متى ما ازددت من بعد التناهى فقد وقع انتقاصى فى ازديادى

**

إذا كنت ترضى أن تعيش بذلة فلا تستعدن الحسام اليمانيا
ولا تستطيعن الرماح لغارة ولا تستجيدن العتاق المذاكى
فما ينفع الأسد الحياء من الطوى ولا تتقى حتى تكون ضاريا

(تستعدن : تتخذه عدة - تستجيدن : تختار - العتاق : الخيل الطويلة -

المذاكى : التى اكنمت اسنانها - الطوى : الجوع - الضوارى : المفترسة)

إنما أنفـس الأئـيس سباع يتفارسن جـهـرة واغتـيـلا
من أطاق التماس شئ غـلابـا واغتـصابـا لم يـلتـمـسـه سـؤـالا
كل غـاد لـحـاجـة يـتـمـنى أن يـكـون الغـضـنـفر الرئـبالـا

**

أرى كلنا يـبـغى الحـيـاة لـنـفـسـه حـريـصـا عـلـيـها مـسـتـهـاما بـها صـبا
فحب الجـبان النـفـس أوردـه البـقا وحب الشـجـاع الحـرب أوردـه العـطـبا
ويـخـتـلف الرزقـان ، والفـعل واحد إلى أن إحـسان هـذا لـذا ذنـبا

**

إنما تـسـتـرد ما تـهـب الدنـيا ، فـيـالـيت جـودـها كان بـخلا
وهى مـعـشـوقـة عـلى الغـدر ، لا تـحـفـظ عـهـدا ولا تـتـمـ وصـلا
شـيـم الغـانـيـات فـيـها ، فـما أدري لـذا أنـتَ اسـمـها النـاس أم لا

**

ولا تـحـسـبـنَ المـجد زقا وقـيـنة فـما المـجد إـلا السـيـف والفـتـكة البـكر
وتـضـريـب أعـناق المـلوك وأن تـرى لك الهـبـوات السـود والعـسـكر المـجر
وتـركـك فى الدنـيا دويـا كائـما تـداول سـمع المـرء أنـمـله العـشر
(الزق : وعاء الخمر - الفتكة : البطن - البكر : غير المسبوقة - الهبوات
جمع هبوة : الغبار المتصاعد من المعركة)

ب - أربعة أبيات :

لا افتـخـار إـلا لـمن لا يـضـام مدرك أو مـحـارب لا يـنام

ليس عزما ممرض المرء فيه . ليس هما ما عاق عنه الظلام
واحتمال الأذى ورؤية جانيه قذى تضوى به الأجسام
ذل من يغبط الذليل بعيش رب عيش أخف منه الحمام

**

لا تعذل المشتاق فى أشواقه حتى يكون حشاك فى أحشائه
إن القتل مضرجا بدموعه مثل القتل مضرجا بدمائه
والعشق كالمعشوق يعذب قربه للمبتلى، وينال من حوبائه
لو قلت للذنف الحزين : فديته مما به لأغرته بفدائه
(الحوباء : الروح)

انعم ولذّ فلامور أواخر أبدا إذا كانت لهنّ أوائل
مادمت من أرب الحسان فإنما روق الشباب عليك ظل زائل
للهو آونة تمر كأنها قبل يزودها حبيب راحل
جمع الزمان ، فلا لذى خالص مما يشوب ولا سرور كامل

**

ففى فؤاد المحب نار جوى آخر نار الحميم أبردها
شاب من الهجر فرق لمتة فصار مثل الدمقس أسودها
يا عاذل العاشقين دع فئة أضلها الله كيف ترشدها
ليس يحبك الملام فى هم أقربها منك عنك أبعدا

(اللمة : الشعر الذى يجاوز الأذن - الدمقس : الحرير الأبيض)

إذا غدبت حسناء وقت بعدها فمن عهدها ألا بدوم لها عهد

وإن عشقت كانت أشد صباية
وإن حقدت لم يبق فى قلبها رضا
كذلك أخلاق النساء ، وربما
وإن فركت فاذهب فما فركها قصد
وإن رضيت لم يبق فى قلبها حقد
يضل بها الهادى ويخفى بها الرشد

* *

لولا المشقة ساد الناس كلهم
وإنما يبلغ الإنسان طاقته
إنا لفى زمن ترك القبيح به
ذكر الفتى عمره الثانى وحاجته
ج - خمسة أبيات :
الجود يفقر والإقدام قتال
ماكل ماشية بالرجل شمال
من أكثر الناس إحسان وإفضال
مافاته ، وفضول العيش أشغال

الرأى قبل شجاعة الشجعان
فإذا هما اجتمعا لنفس حرة
ولربما طعن الفتى أقرانه
لولا العقول لكان أدنى ضيغم
ولما تفاضلت النفوس ودبرت
(المران : الرماح اللدنة)
هو أول وهى المحل الثانى
بلغت من العلياء كل مكان
بالرأى قبل تطاعن الأقران
أدنى إلى شرف من الإنسان
أيدى الكماة عوالى المران

لابد للإنسان من ضجعة
ينسى بها ما كان من عجه
نحن بنو الموتى، فما بالننا
تبخل أيدينا بأرواحنا
فهذه الأرواح من جوّه
لا تقلب المضجع عن جنبه
وما أذاق الموت من كربه
نعاف ما لابد من شربه
على زمان هنّ من كسبه
وهذه الأجسام من تربه

* *

وقد فارق الناس الأحبة قبلنا وأعيا دواء الموت كل طبيب
 سبقنا إلى الدنيا فلو عاش أهلها منعنا بها من جيئة وذهوب
 تملكها الآتى تملك سالب وفارقها الماضى فراق سليب
 ولا فضل فيها للشجاعة والندى وصبر الفتى لولا لقاء شعوب
 وأوفى حياة الغابرين لصاحب حياة امرئ خائته بعد مشيب
 (الشعوب : الموت)

د - ستة أبيات :

عش عزيزا أو مت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنود
 فرؤوس الرماح أذهب للغىظ وأشفى لغل صدر الحقود
 لا كما قد حييت غير حميد وإذا متّ متّ غير مفيد
 فاطلب العز فى لظى ، ودع الذل ، وإن كــــان فى جنان الخلود
 يقتل العاجز الجبان ، وقد يعجز عن قطع بخنق المولود
 ويوقى الفتى المخش وقد خوّض فى ماء لبّه الصنديد
 (البخنق : خرقة قماش يقنع بها رأس المولود وتشد تحت الحنك - المخش :
 الجرى - اللبة : أعلى الصدر - الصنديد : الشجاع)

كلما أنبت الزمان قنّاة ركب المرء فى القنّاة سهامها
 ومراد النفوس أصغر من أن تتعاضى فيه وأن نتفانى
 غير أن الفتى يلاقى المنايا كالحات ولا يلاقى الهوانا
 ولو أن الحياة تبقى لحى لعدنا أضلنا الشجعانا
 وإذا لم يكن من الموت بدّ فمن العجز أن نموت جبانا

كل ما لم يكن من الصعب فى الأنفس سهل فيها إذا هو كانا

هـ - ثمانية أبيات :

فلا تنلك الليالى إن أيديها	إذا ضربين كسرن النبع بالغرب
ولا يعنّ عدوا أنت قاهره	فإنهن يصدن الصقر بالخرب
وإن سررن بمحبوب فجعن به	وقد أتيتك فى الحالين بالعجب
وربما احتسب الإنسان غايتها	وفاجأته بأمر غير محتسب
وما قضى أحد منها لبانتها	ولا انتهى أرب إلا إلى أرب
تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم	إلا على شجب والخلف فى الشجب
فقيل تخلص نفس المرء سالمة	وقيل تشرك جسم المرء فى العطب
ومن تفكر فى الدنيا ومهجته	أقامه الفكر بين العجز والتعب

و - تسعة أبيات :

ولما صار ود الناس خبا	جزيت على ابتسام بابتسام
وصرت أشك فيمن أصطفيه	لعلمى أنه بعض الأنام
يحب العاقلونى على التصافى	وحب الجاهلين على الوسام
وأنف من أخى لأبى وأمى	إذا ما لم أجده من الكرام
أرى الأجداد تغلبها كثيرا	على الأولاد أخلاق اللئام
ولست بقانع من كل فضل	بأن أعزى إلى جد همام
عجبت لمن له قد وحد	وينبو نبوة القضم الكهام
ومن يجد الطريق إلى المعالى	فلا يذر المطى بلا سنام
ولم أر فى عيوب الناس شيئا	كنقص القادرين على التمام

أهم المصادر والمراجع :

- ديوان المتنبي - شرح البرقوقى - دار صادر ، بيروت (د.ت) .
- ديوان المتنبي - ط. مصورة . المركز العربى للبحث والنشر ، القاهرة ١٩٨٠ .
- العقاد - المتنبي . العدد الأول من تراث الانسانية . القاهرة يناير ١٩٦٣ .
- طه حسين - مع المتنبي . دار المعارف القاهرة ١٩٦٢ .
- محمود شاكر - المتنبي ، فى سفرين . مطبعة المدنى ، القاهرة ١٩٧٦ .
- محمد كمال حلمى (بك) - أبو الطيب المتنبي - القاهرة ١٩٢١ .
- البديعى (يوسف) - الصبح المنبى عن حيثة المتنبي - دار المعارف ١٩٧٧ .
- الجرجانى (القاضى على بن عبدالعزيز) - الوساطة بين المتنبي وخصومه ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ١٩٨٥ .